

المنهج اللغوي للعلامة الطباطبائي في تفسير القرآن

دكتور عباس آقبالي
عضو هيئة علمي دانشگاه كاشان
(از ص ١١١ تا ص ١٢٥)

چكیده

لا شك أنّ معاني و مفاهيم الفاظ و مفردات الآيات القرآنيّة بحاجة إلى بذل المزيد من العناية بها نظراً لخصوصيّة لغة القرآن التي هي اللّغة العربيّة «بلسان عربيّ مبين» (سورة الشعراء ١٠٥)

من هنا فإنّ لكلّ مفسّر أسلوبه الخاص في التعامل مع تلك المفردات، و العلامة الطباطبائي كان له نهجه الخاص في كتابه «الميزان في تفسير القرآن» حيث كان يبيّن معاني و مفردات الآيات التي يتناولها بالبحث، مع فارق بينه و بين أكثر المفسرين و هو أنّه كان يعمد إلى التمسك بقرائن نظير «المقام و التقابل و السياق»، و الاستعانة بالآيات القرآنيّة، ما أمكن، للاستدلال على مراده و الإعراض عن الإستشهاد بالشعر العربي.

في هذه المقالة سوف نحاول إستكشاف المنهج اللغوي للعلامة الطباطبائي عند تفسيره لمعاني و مفردات القرآن على ضوء الأبحاث المطروحة في كتاب «الميزان في تفسير القرآن».

واژه های کلیدی:

المصطلحات الرئيسة: التفسير، العلامة الطباطبائي، المنهج اللغوي.

مقدمه

نزل القرآن الكريم على قوم عرب بلسان عربي مبين، و استخدم مصطلحاته و أساليب الحوار الرائجة فيه، يقول ابن فارس و هو من أكابر علماء اللّغة و أشهرهم: «أنزل الله جلّ ثناؤه القرآن بالحروف التي يعرفونها و بالسنن التي يسلكونها في أشعارهم و مخاطباتهم ليكون عجزهم عن الإتيان بمثله أظهر و أشعر.^١ و يقول ابن خلدون: «إعلم أنّ القرآن نزل بلغة العرب و على أساليب بلاغتهم»^٢ فلا بدّ من الاهتمام بمفردات الآيات القرآنيّة اصطلاحاً و لفظاً و معنئ للتنوع الهائل في مفردات العربيّة و تصنيفها إلى حقيقي و مجازي، عرفي و شرعيّ و اصطلاحيّ، ممتباين. متضاد.

و قد استأثرت اللّغة باهتمام أتباع منهج التفسير اللّغوي الأمر الذي حدا بهم إلى التعمق في معاني لغات الآية و استعان هذا الصنف من المفسرين؛ امثال: افراء، و إبي حيّان و الطبرسي باللّغة كدعامة أساسيّة لمنهجهم التفسيري و ذلك من خلال شرح معاني مفردات الآية لكلّ تفسير، و قد كتب صاحب تفسير «البحر المحيط» عن منهجه التفسيري يقول فيه: «إني أبتديّ أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة فيما يحتاج إليه من اللّغة و الاحكام النحويّة التي لتلك اللفظة قبل التركيب، و إذا كان لكلمة معنيان أم معاني ذكرت ذلك في أوّل موضع فيه تلك الكلمة.»^٣

و تهدف هذه المقالة إلى إستكشاف منهج المفسر الكبير العلامة الطباطبائي (هو محمد حسين بن محمد الطباطبائي، ولد في مدينه تبريز عام ١٣٢١ هـ في أسرة عريقة بالعلم و الثقافة، غادر مسقط رأسه متوجّها إلى نجف الاشراف عام ١٣٤٤ هـ فأخذ يختلف أندية دروس السيد ابوالحسن الاصفهاني و الشيخ محمد حسين النائيني و محمد حسين الاصفهاني في الفقه و الاصول و دروس على القاضي و حسين البادكوبي في الحكمة، و ظلّ في النجف أحد عشر عاماً ثمّ أقفل راجعاً إلى تبريز و من ثمّ حطّ الرحال في مدينة قم المقدّسة و اعتلى كرسى تدريس الفلسفه فيها حتّى تخرّج على يده جيل كبير من أكابر الحوزة و علمائها، و صنّف كتباً كثيرة

منها: «الميزان في تفسير القرآن»، «اصول الفلسفة»، «تعاليق الاسفار»، «بداية الحكمة»، «نهاية الحكمة»، «تعليقة على الكفاية»، «الرسائل التوحيدية»، «الرسائل السبع» إلى غيرها من الكتب. توفى عام ١٤٠٢ هـ وورى جثمانه الطاهر في حرم السيدة فاطمة بنت الكاظم (ع) في مدينة قم المقدسة. عند شرحه معني أو معاني المفردات و ترجيحه معني على سائر المعاني على ضوء كتابه القيم (الميزان في تفسير القرآن)

فقد كان (ره) كثيراً ما يتطرق إلى المسائل اللغوية التي لها مساس بتفسير الآية و يتناول المباحث اللغوية و ما يستند إليه من أدلة في تبيين معاني الكلمات بأساليب مختلفة و بالرغم من عدم الإفصاح عن منهجه اللغوي، إلا أن التوضيحات التي يدلي بها عند بيان معاني الألفاظ تكشف بوضوح عن مدى الأهمية التي يعيها العلامة للمعنى الظاهري للألفاظ، و المعنى المراد، و المعنى المجازي، و السياق و القرائن. شأنه في ذلك شأن سائر المفسرين كأبي حيان و الطبرسي و القمي، دون أن يجاريهم في إتباع أسلوب الإستشهاد بأشعار العرب الرائج في مفردات الراغب و مجمع البيان.

و يمكن أن نجمل أساليب تبيين معني و مفهوم ألفاظ القرآن الكريم و مفرداته بمايلي:

١. الإستشهاد بأشعار العرب

إنّ الإستشهاد بأشعار العرب، لا سيّما الشعر الجاهلي و صدر الاسلام، من الأساليب الرائجة لدى المفسرين؛ فلما سئل ابن عباس - الذي قال عبدالله بن مسعود في شأنه: (نعم ترجمان القرآن عبدالله بن عباس)، و قال ابن عطية: «فأما صدر المفسرين و المؤيد فيهم فعلي بن ابي طالب (ع) و يتلوه ابن عباس»^٤ - سئل عن كلمة من القرآن أجاب مستشهداً بأشعار العرب.

يقول ابن رشيقي القيرواني: كان ابن عباس يقول: «إذا قرأتهم شيئاً من كتاب الله فلم

تعرفوه فاطلبوه في اشعار العرب فإن الشعر ديوان العرب» ثم يضيف: «و كان إذا سئل عن شي من القرآن أنشد فيه شعراً»^٥

و قال نافع ابن الأزرق لابن عباس: أخبرني عن قول الله عزّ و جلّ «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ» (سورة القلم ٤٢) فأجاب: عن شدة الآخرة أما سمعتم قول الشاعر:

و قامت ينا الحربُ على ساق^٦

و قال أيضاً لابن عباس: أخبرني عن قول الله عزّ و جلّ: «ولا تأخذهُ سنة ولا نوم» (سورة البقرة ٢٥٥) ما «السنة»؟ قال: النعاس، قال زهير بن أبي سلمى:

لا سنة في طول الحياة تأخذهُ ولا ينام ولا في أمره فند^٧

و لما سمع عمر بن الخطاب رجل من قبيلة هذيل ينشد:

تَخَوَّفَ السَّيْرَ تَامِكًا قَرْدًا كَمَا تَخَوَّفَ عُوْدَ النَّبَعَةِ السُّفُنُ

فسر «تخوف» في الآية ٥٠ من سورة النحل ب «التقص» و قال: يا أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم فإن فيه تفسير كتابكم.^٨

و استند الطبرسي (المفسر الشيعي الكبير) في كتابه «مجمع البيان»، عند توضيح معاني الكلمات، إلى إشعار العرب، و كان يستشهد أحياناً بالشعر لترجيح أحد المعاني، كما قال عند بيانه للفظ شيطان: «شيطان وزنه فعلان من شطنت الدار أي بعدت، و قيل: هو فعلان من شاط يشيط إذا بطل و الاوّل أصحّ لأنّه قد جاء في الشعر شاطن بمعناه، قال أمية بن أبي الصلت:

أئِمْما شاطن عَصاهُ عَكَاهُ ثمَّ يُلقي في السَّجْنِ وَ الأغال^٩

و قال أيضاً في ذيل الآية ٢٢٩ من سورة البقرة حول كلمة «يخافا»، قال: «أن يخافا معناه: أن يظنّا، قال الشاعر:

أنا في كلام عن نصيبٍ يَقولُهُ و ما خِفْتُ يا سَلامُ أنْكَ عاتِبي^{١٠}

و لكن العلامة الطباطبائي - و خلافا لابن عباس و الطبرسي - لم يستند إلى الشعر عند بيان معاني المفردات بل أعلن صراحة عن رفضه لهذا الأسلوب، فهو في ذيل كلمة «الابن» يستشكل على بعض المفسرين عند إستشهادهم بالبيت التالي:

بَنُونَا بَنُو أَبْنَانِنَا وَ بَنَانِنَا
 بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الأَبَاعِدِ
 و يول: «أما ما أنشد في الشعر فليس يسوي الشعر في سوق الحقائق شيئاً و ليس
 إلّا زخرفة خيالية و تزويقاً و همياً حتى يستدلّ بكلّ ما تقوله شاعر لاغ و لا سيّما فيثما
 يداخله القرآن الذي هو قول فصل و ليس بالهزل»^{١١}.
 وكذلك في ذيل الآية ٢٣ من سورة النساء يقول:

«و أما أنشد من الشعر في بحث حقيقي يتعرض لكشف حقيقة من الحقائق
 الدينية التي تنفرع عليها آثار هامة حيوية دنيوية و اخروية لا يستهان بها، فما ذا ينفع
 الشعر و هو نسيج خيالي، الباطل أعرف عنده من الحق و الغواية أمس به من
 الهداية»^{١٢}.

و كان ينقل من عبارات مفردات الراغب الاصفهاني حتى إذا وصل الشعر وقف
 عنده بالرغم من ذكره الابيات التي يستشهد بها الرذغب على المعنى المراد، نظير
 معاني «مرغم»^{١٣}، «تبوء»^{١٤} و «سلم»^{١٥}.

٢. الاستناد إلى الحديث

كتب البغدادي في كتاب خزانة الادب: «و أما الاستدلال بحديث النبي (ص) فقد
 منعه ابن الضائع و أبوحيان و سندهما أمران: احدهما أنّ الاحاديث لم تنقل كما
 سمعت من النبي (ص) و إنّما رويت بالمعنى. و ثانيهما أنّ أئمة النحو المتقدمين من
 المصريين لم يحتجوا بشيء منه. و ردّ الأول - على تقدير تسليمه - بأنّ النقل بالمعنى
 إنّما كان في الصدر الأوّل قبل تدوينه في الكتب، و قبل فساد اللّغة، و غايته تبديل
 لفظ بلفظ يصحّ الاحتجاج به، على أنّ اليقين غير شرط بل الظنّ كاف، و ردّ الثاني بأنّه
 لا يلزم من عدم إستدلالهم بالحديث عدم صحّة الإستدلال به. و الصواب جواز
 الاحتجاج بالحديث للنحوي في ضبط الفاظه»^{١٦}

و كما أنّ للعلامة الطباطبائي بحثاً روائياً في تفسير الآيات حيث كان يدعم تفسيره
 بنقل أحاديث في هذا الصدد، كذلك كان يستند في تفسير معاني الالفاظ إلى

الحديث؛ فقد استند عند شرح «يد» إلى رواية محمد بن مسلم، قال: سألت جعفرًا (ع) فقلت: قوله عزّ وجلّ «يا ابليس ما منعك أن لا تسجدَ لما خلقتُ بيدي» (سورة ص ٧٥) قال: «اليد» فى كلام العرب القوّة والنّعمة.^{١٧}

كما استند عند توضيح «حفدة» فى الآية «وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً» (سورة النحل ٧٢) إلى رواية عن الإمام جعفر الصادق (ع) ورد فيها أنّ «الحفدة بنو البنت».^{١٨}

٣. الاستناد إلى كتب اللّغة

و كان (ره) يستند عند تفسير مفهوم الفاظ الآيات القرآنيّة إلى كتب اللّغة العامّة نظير لسان العرب و صحاح اللّغة. و كتب اللّغة الخاصّة نظير المفردات للراغب، فمثلا استند عند بيانه لمفاهيم «النكاح»^{١٩}، «الطعام»^{٢٠} و «غائط»^{٢١} إلى كتب صحاح اللّغة و لسان العرب لابن منظور. كان يكتفى فى كثير من الأحيان بنقل مطالب «مفردات الراغب» حول مفهوم المصطلحات؛ فعلى سبيل المثال كان يشير إلى نصّ ما ورد فى كتاب المفردات للراغب حول معنى «جبر» فى الآية «إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ»^{٢٢} و «تبوء» فى الآية «إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِآثِمِي»^{٢٣} و «خوض» فى الآية «وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ»^{٢٤} و «جنّ» فى الآية «فَلَمَّا جُنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ»^{٢٥} و «فطر» فى الآية «إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ...»^{٢٦} و «البركة» فى الآية «هَذَا كِتَابٌ مَبَارَكٌ»^{٢٧} و «الشرح» فى الآية «فَمَنْ يُرِدْ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ»^{٢٨} من سورة الانعام و «جزء»^{٢٩}، «رهبان»^{٣٠}، «ايمان»^{٣١} و غيرها من النّماذج التي يعجّ بها تفسير الميزان، نعم كان ينقل مطالب مفردات الراغب بنصّها أحيانا و بخلاصتها أحيانا أخرى^{٣٢} مع الإعراض عن نقل الأبيات الشعريّة المشفّعة بها و انتقاد بعض ما يورده الراغب؛ فمثلا:

الف) ينقل فى الصفحة ٢٧٥ من الجزء الثاني للميزان - عند توضيح كلمة «الأذى» - عبارة «الأذى ما يصل إلى الحيوان من ضرر» من كتاب المفردات و يضيف: «الأذى

هو الضرر على ما قيل. لكن لا يخلو عن نظر، فإنه لو كان هو الضرر بعينه لصحّ مقابلته مع النفع كما أنّ الضرر مقابل النفع و ليس بصحيح أن يقال «دواء مضرّ و ضارّ» و لو قيل «دواء مؤذ» أفاد معنى آخر.

ب) و في الصفحة ٥٠ من الجزء السادس للميزان في ذيل كلمة «العصمة» بعد نقله لعبارة مفردات الراغب حول معنى العصمة يقول: «و ما ذكره من كلمة العصمة حسن لا بأس به غير أنّه لا ينطبق عليه الآية.»

ج) و في الصفحة ٢٤٦ و ٢٤٧ من الجزء السابع، يقول في ذيل مفردة «إجتبي»: قال الراغب في المفردات: «يقال: جبيت الماء في الحوض جمعته و الحوض جابية و الجمع جواب...» و الذي ذكره الراغب من معنى الإجتباء و إن كان كذلك علي ما يفيدته موارد و قوعه في كلامه تعالى لكنّه لازم المعنى الاصلى و هو الجمع من مواضع و أكنة مختلفة متشعبة... الخ»

٤. الإستناد الى كتب التفسير

إستعمل العلامة عند بيانه لمعاني المفردات عبارة «قيل» أو «قيل و ما في معناه» في كثير من الموارد؛ فمثلا عند توضيحه لـ «ملاً» يقول: «الملاكما قيل: الجماعة من الناس» و عند بيانه لـ «قيوم» في الآية ٢٥٥ من سورة البقرة يقول: «القيوم فهو على ما قيل: فيعول»^{٣٣} و حول معنى «مريم» يقول: «مريم في لغتهم العابدة و الخادمة على ما قيل»^{٣٤} و موارد أخرى كثيرة.

و في بعض الموارد يكتفي بنقل عبارات من المصادر التفسيرية نظير: جامع البيان في تفسير القرآن، و الكشّاف، و مجمع البيان، و مفاتيح الغيب، و أنوار التنزيل، و الدرّ المنثور، و روح المعاني، و المنار، و تفسير القمّي، و تفسير العياشي^{٣٥}. فمثلاً: ينقل في الصفحة ١٥٧ من الجزء السادس للميزان و الصفحات: ٥٦، ١٣٠، ١٤٢، ٣٢٧ في الجزء السابع عبارات من مجمع البيان لأجل بيان معنى المفردات، كما ينقل في صفحته ٥٧ من الجزء السابع عبارة من تفسير القمّي فسر فيها «ينأون» بمعنى

«يباعدون» أو في الصفحة ٢٥٧ من الجزء الرابع و الصفحة ٥١ من الجزء السابع يتطرق إلى عبارات سيبويه و البيضاوي.

٥. الاهتمام بظاهر اللفظ و ميزانه الصرفي

و قد يولى العلامة إهتماماً خاصاً بظاهر الالفاظ و يقول: «و ظاهر الكفر في القرآن هو الستر...» و حتى إنه يرد على بعض التفاسير إستناداً إلى ظاهر اللفظ، فمثلاً قال عند بيانه «درجة» في الاية ٩٥ من سورة النساء «لايستوى القاعدون من المؤمنين...» قال: و قد ذكر المفسرون للتخلص من الاشكال و جوهاً لا يخلو جلّها أو كلّها من تكلف^{٣٦} و عقب سرده لكلماتهم يقول: «أنت خبير بأنّ هذه الأقوال لا دليل عليها من جهة اللفظ» و يقول عن بعض التفاسير التي دارت حول مفردة «الطيبات» في الآية ٥ من سورة المائدة «اليوم أحلّ لكم الطيبات...»، «تفاسير عجيبة لا يحتملها ظاهر اللفظ»^{٣٧} إلى جانب ذلك فهو يهتم بهيئة اللفظ و مادّته معاً و يقول: «السواء فى الاصل مصدر و يستعمل وصفا بمعنى متساوى الطرفين»^{٣٨} أو رد فى موضع آخر: «السيئة بحسب ما تعطيه مادّة اللفظ و هيئته...»^{٣٩} و أيضا «الخادعة هي الإكثار أو التشديد في الخدعة بناء على أنّ زيادة المباني تدلّ على زياده المعاني»^{٤٠} و يقول فى الصفحة ٣٠٥ من الجزء الخامس «الفرق بين التطويع و الاطاعة: التطويع يدلّ على التدرّج و الإطاعة على الدّفعة كما هو الغالب في بابي الإفعال و التفعيل».

يذكر أنّه كان يناقش إنقطاع البعض إلى المعنى اللفظي للمفردة دون أخذ سائر القرائن بنظر الإتيان، فيقول عند بيانه معنى «ذريّة» في الاية ٨٥ من سورة الانعام «و وهبنا له اسحاق و يعقوب... و من ذريّته» يقول: و قد اشتبه الأمر على عدّة من الأعلام فحسبوا أنّ المسألة لفظية يتبع فيها اللغة حتى إحتجّ فيها بعضهم بمثل قول الشعر: «بنونا بنو آبائنا» و قد أخطأوا فى ذلك و إنّما هي مسألة حقوقية إجتماعية^{٤١}.

٦. الاستدلال بالتحليل اللغوي للكلمات

و يتشَبَّث أحياناً بالتحليل اللغوي بغية فهم معنى مفردة من المفردات نظير: «ملا»^{٤٢}، «جند»^{٤٣}، «سنبل»^{٤٤}، «عشى»^{٤٥}، «نصيب»^{٤٦}، «محصات»^{٤٧}، «جرم»^{٤٨}، «تشييد»^{٤٩} وغيرها من الموارد التي لا يسع المجال لنقلها كافة في هذا المقال.

و يقدم أحياناً أخرى على التحليل اللغوي لإثبات معنى المفردة المنسجم مع الآية، فعلى سبيل المثال ذكر عند بيان مفردة «الخمير»: «الخمير على ما يستفاد من اللغة هو ما يع معمول للسكر و الاصل فى معناه الستر و سمى به لأنه يستر العقل و لايدعه يميز الحسن من القبيح و الخير من الشرّ، و يقال لما تغطى به المرأة «الخمير» و «الميسر» لغة هو القمار و يسمى المقامر ياسراً و الأصل فى معناه السهولة سمى به لسهولة إقتناء مال الغير به من غير تعب الكسب و العمل...»^{٥٥} و حول مفردة «الجند» يقول: «الجند: المجتمع الغليظ من كل شىء و سمى العسكر جنداً لتراكم الأشخاص فيه و غلظتهم.»^{٥١}

٧. الاستعانة بالمثال و المصداق لبيان معنى المصطلح

كان العلامة يستعين أحياناً بذكر المصداق لبيان مفهوم المفردة بل قد يضطر إلى سرد مصاديق متعدّدة ذات معان مختلفة، فمثلاً عند بيانه معنى «لعن» فى الآية ١٥٩ من سورة البقرة «أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ» يقول: «اللّعن مختلف؛ فإنه من الله: التباعد من الرحمة و السعاد، و من اللاعنين: سؤاله من الله»^{٥٢} و حول معنى «العفو» فى الآية ١٥٥ من سورة آل عمران «ولقد عفا الله عنهم...» يقول: «معنى العفو مختلف فى الموارد مختلف فى المورد بحسب المصداق»^{٥٣} أو فى ذيل كلمة الإطاعة يقول: «الإطاعة الرسول معنى و لإطاعة الله طسبحانه معنى آخر»^{٥٤}

كما كان يتعاطى المثال لبيان المعنى؛ فمثلاً: يوضح معنى كلمة «البأساء» بمثال و يقول: «البأساء: هو الشدة الموجهة إلى الإنسان فى خارج نفسه كالمال و الجاه و الأهل و الأمن الذي يحتاج اليه فى حيوته و «الضراء» هى الشدة التى تعيب الإنسان

فى نفسه كالجرح و القتل و المرض»^{٥٥} و حول كلمة «قهر» يقول: «القهر: نوع فى الغلبة و هو أن يظهر شىء على شىء فيضطرّه إلى مطاوعة أثر من الغالب... كالماء يظهر على النار فيقهرها على الخمود و النار تقهر الماء فتبخره أو تجفّ رطوبته»^{٥٦}.

٨. تعيين معنى المراد

(الف) قرينة المقام: إنّ تعيين المعنى المراد للكلمات، أسلوب مألوف فى اغلب التفاسير، و قد اعتمده العلامة ايضاً من خلال التمسك بقرينة المقام احياناً لما قال: «المراد بالعدل - و هو مصدر - الإستقامة فى الأمر، و قرينة المقام تعطى أنّ المراد به الإستقامة فى امر الدين»^{٥٧}، أو التمسك بحديث عند ما يقول: «عن الصادق (ع) إنّ المراد بالحرث هيهنا: الدين و النسل»^{٥٨} و المراد من قرينة المقام عند العلامة هو المناسبة بين الحكم و الموضوع بالذوق المتخذ من كلامه تعالى^{٥٩}.

وقد لا يشير إلى نوع القرينة أحياناً أخرى كما عند توضيحه لمعنى فتنة: «الفتنة و إن كانت ذات معان كثيرة مختلفة لكنّ المعهود من إطلاقها فى القرآن فى خصوص الكفار و المشركين: التعذيب من قتل أو ضرب و نحوهما و قرائن الكلام يويد ذلك...»^{٦٠}

نعم لا يذكر دليل المعنى المراد فى العديد من الموارد، فمثلاً: يقول عند توضيح معنى مفردة «تسبون» فى الآية ٤١ من سورة الأنعام «تَسْبُونَ ما تَشْرِكُونَ»: «المراد بقوله تسبون: تعرضون»^{٦١}، أو حول مفردة «تفريط» فى الآية ٦١ من السورة نفسها، يقول: «المراد من التفريط هو التساهل و التسامح»^{٦٢}.

(ب) قرينة التقابل: قد تحصل احياناً بين مفردتين نوع من المقابلة، و هى على أنواع ثلاثة: النظيري (مثل مقابلة السنة و النوم) و النقيضي (مثل مقابلة اليقظة و الرقود) و الخلافي (مثل مقابلة الشرّ و الرشّد)^{٦٣}.

و قد بادر العلامة إلى تعيين المعنى المراد من المفردات فى العديد من الموارد بالاعتماد على قرينة التقابل لاسيما مقابلة النقيضين مثل ٣: يعتقد أنّ «ذكر» مقابلة

لا «غفل»^{٦٤}. و يواجهه من فسّر «الاذى» في الآية ٢٢٢ من سورة البقرة «بالضرر» بالقول: «الاذى هو الضرر على ما قيل لكنّه لا يخلو عن نظر فإنّه لو كان هو الضرر بعينه لصحّ مقابلته مع النفع.» و يقول أيضاً: «القبض: الأخذ بالشيء اليك و يقابله البسط»^{٦٥}، «الغالى: المتجاوز عن الحدّ بالافراط و يقابله الغالى فى طرف التفريط»^{٦٦}، «قسوة القلب مقابل لينه»^{٦٧} و موارد أخرى لا حصر لها بيّن فيها معنى الكلمة على ضوء قرينة التقابل.

ج) قرينة السياق: قيل في تعريف السياق: «كل ما يكشف اللفظ الذي نريد فهمه من دوال أخرى سواء كانت لفظية كالكلمات التي تشكل مع اللفظ الذي نريد فهمه كلاماً متحداً مترابطاً، أو حالية كالظروف و الملابس التي تحيط بالكلام و تكون ذات دلالة فى الموضوع»^{٦٨}. و اعتمد العلامة على قرينة السياق فى تفسير الآيات^{٦٩} و فى بيان المعنى المراد لمفردات القرآن حيث يقول عند توضيح مفردة «حضور»: «الحضور هو الذى لا يأتى النساء و المراد بذلك فى الآية بقرينة السياق: الممتنع عن ذلك»^{٧٠} و حول معنى «شعائر» و «قلائد» يقول: «وقد اختلفوا فى تفسير الشعائر و القلائد و غيرهما من المفردات... و الذى آثرناه هو الأنسب لسياق الآية»^{٧١} و حول معنى «نور» يقول: «ربما قيل أنّ المراد بالنور هو الايمان أو القرآن و هو بعيد من السياق»^{٧٢} أو يقول: «المراد بالإسلام هو معناه اللغوي على ما يعطيه ظاهر السياق و هو التعرّي من الافات الظاهرة و الباطنة»^{٧٣} أو يقول: «وقيل إنّ «عليكم» اسم فعل بمعنى خذوا و هو خلاف ما يسبق إلى الذهن من السياق»^{٧٤}.

نعم، بالرغم من ركونه إلى المعنى المراد لا المعنى اللغوي للفظ في أغلب الموارد التي تقدّم الإشارة إليها لكنّه فى ذيل الآية ١٢٧ من سورة الانعام يعتمد على المعنى اللغوي للمفردة استناداً إلى السياق و يقول: ربما قيل المراد بالسلام هو الله و داره الجنة و السياق يأباه»^{٧٥}

٩. الإستناد إلى آيات القرآن

يلوح على المنهج اللغوي للعلامة الإعتماد على عرف القرآن لاثبات و تعيين مفهوم مفردة ما و المعنى المراد لها، حيث تعجّ فيه تعابير نظير: عرف القرآن، سياق الآية أو الآيات، اصطلاح القرآن مع الاشارة إلى الآية أو الآيات المبينة^{٧٦} و كثيراً ما يصرّح العلامة «أن الآيات القرآنيّة يفسّر بعضها بعضاً»^{٧٦}.

من هنا و لأجل تحديد المدّة في مفردة «أجل» سرد الآيات ٢٨٢ من سورة البقرة، و ٥ من سورة العنكبوت و ٢٨ من سورة القصص^{٧٧} و قد استعمل هذا الأسلوب عند شرحه لأكثر مفردات القرآن^{٧٨}.

حصيلة البحث

يمكن القول مع الأخذ بنظر الإعتبار اسلوب توضيح مصطلحات الآيات القرآنيّة في تفسير الميزان:

(الف) إعتقاد العلامة بضرورة التوسّع في دائره مفهوم اللغات، و إستعمال بعض الفاظ و مفردات القرآن في المفهوم المجازى للكلمة لذلك فقد أبدى المزيد من الإهتمام بكشف معانى مختلف المفردات.

(ب) اقتضاه في توضيح المعنى على المفردات التي لها دور هامّ في تفسير الآية، لهذا السبب فقد إهتمّ ببيان المعنى المراد للمفردات.

(ج) إنّ الروح العامّة السائده على شرح الالفاظ هي الاستدلال بآيات القران مما يوحي الى أنّ المفسّر الكبير لا يعتقد بتفسير القرآن بالقرآن فحسب، و يقول «إنّ الآيات القرآنيّة يفسّر بعضها بعضاً» بل يعتقد أيضاً بضرورة التمسك بالقرآن في فهم معاني مفرداته، و عمدة ما يستند إليه في هذا المجال هو: «عرف القرآن»، «سياق الآية» و «قرائن المقام و التقابل».

(د) إعراضه عن الإستشهاد بالشعر العربي في بيان معنى الفاظ القرآن إذ يرى أنّ الفاظ القرآن التي هي قول فصل في مناهى عن تفسيرها بالشعر الذي هو قول هزل نعم

يستند اليه عند بيانه لنكتة نحوية أو بلاغية.
هـ) سريان الروح الفلسفية و الاستدلالية إلى معظم تفسيره خاصة عند ما يتصدى لشرح الآيات بمفرداتها.
و) انطلاق تحديد معنى المفردات من التصور العام للمفسر حيال المراد الكلي للآية و بذله الوسع لإثبات معنى ينسجم مع الروح العامة للآية.
و في الختام أود الإشارة إلى أن هذا البحث و نتائجه لا يخلو من زلات و هفوات، فالرجاء الوافر من الباحثين أن يتحفونا بأرائهم الصائبة و نظراتهم السديدة، لأن الكمال لله وحده.

منايع

١. السيوطي، جلال الدين: المزهري في علوم اللغة و أنواعها: ٣٤٢/١.
٢. ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ٧٩٢/٤.
٣. الذهبي، محمد حسين: التفسير و المفسرون، ٣١٩/١.
٤. الزركلي، بدرالدين: البرهان في تفسير القرآن، ٢٥/١.
٥. القيرواني، ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر: ٣٠/١.
٦. السيوطي، جلال الدين: الاتقان في علوم القرآن: ٩/٢.
٧. القرطبي، محمد بن احمد، الجامع لأحكام القرآن، ٢٥/١.
٨. الزركشي، بدرالدين، البرهان في علوم القرآن، المقدم، ٢٥.
٩. الطبرسي، الحسن بن الفضل، مجمع البيان، ١٨/١.
١٠. المصدر نفسه، ٣٢٨/١. ١١. الميزان، ٣١٢/٤.
١٢. المصدر نفسه: ٣٠٢/٤. ١٣. المصدر نفسه، ٥٢/٥.
١٤. المصدر نفسه، ٣٠٤/٥. ١٥. المصدر نفسه، ٤٤/٧.
١٦. البغدادي، عبدالقاهر بن عمر، خزانة الادب، ٤/١. ١٧. الميزان، ٤٠/٦.
١٨. المصدر السابق، ٣٠٩/١٢. ١٩. المصدر السابق، ٤٠١/٤.

٢٠. المصدر السابق: ٢٠٢/٦. ٢١. المصدر السابق، ٢٢٧/٥.
٢٢. المصدر السابق، ٢٩٠/٥. ٢٣. المصدر السابق، ٣٠٤/٥.
٢٤. المصدر السابق، ١١٣/٧. ٢٥. المصدر السابق، ١٧٢/٧.
٢٦. المصدر السابق، ١٩٠/٧. ٢٧. المصدر السابق، ٢٨٠/٧.
٢٨. المصدر السابق، ٣٤١/٧. ٢٩. المصدر السابق، ٢٧/٦.
٣٠. المصدر السابق، ٨٠/٦. ٣١. المصدر السابق، ١١٠/٦.
٣٢. راجع الميزان، ٥٦/٧ و ٣٩/٥. ٣٣. المصدر السابق، ٢٨٥/٢.
٣٤. راجع لمزيد من الاطلاع كتاب «منهج العلامة في التفسير» لعلی الأوسى ١٠٣-٧٨.
٣٥. المصدر السابق، ١٧٢/٣. ٣٦. المصدر السابق، ٤٧/٥.
٣٧. المصدر نفسه، ٢٠٨/٥. ٣٨. المصدر نفسه، ٢٤٦/٥. ٣٩. المصدر نفسه، ٣٢٤/٤.
٤٠. المصدر نفسه، ١١٦/٥. ٤١. المصدر نفسه، ٢٦٣/٧. ٤٢. المصدر نفسه، ٢٨٥/٢.
٤٣. المصدر نفسه، ٢٩١/٢. ٤٤. المصدر نفسه، ٣٨٧/٢. ٤٥. المصدر نفسه، ١٧٩/٣.
٤٦. المصدر نفسه، ١٩٩/٤. ٤٧. المصدر نفسه، ٢٦٦/٤. ٤٨. المصدر نفسه، ١٦٢/٥.
٤٩. المصدر نفسه، ٧/٥. ٥٠. المصدر نفسه، ١٩١/٢. ٥١. المصدر نفسه، ١٩١/٢.
٥٢. المصدر نفسه، ٣٩٠/١. ٥٣. المصدر نفسه، ٥١/٤. ٥٤. المصدر نفسه، ٣٨٨/٤.
٥٥. المصدر نفسه، ١٥٩/٢. ٥٦. المصدر نفسه، ٣٥/٧. ٥٧. المصدر نفسه، ١٩٦/٦.
٥٨. المصدر نفسه، ٩٩/٢. ٥٩. المصدر نفسه، ١٩٦/٦. ٦٠. المصدر نفسه، ٦١/٥.
٦١. المصدر نفسه: ٨٩/٧.
٦٢. لمزيد من الاطلاع راجع المجلدات: ٩٦/٢، ٩٩، ١٠١، ٢٢٦، ٢٩٣ و ١٣١/٣ و ١٩/٤، ٢٦٥، ٤٨، ٢٥٧، ٢٨٠، ٤١٨، ٤٣٦ و ١٩٦/٥ و ٣٥٣/٧.
٦٣. الزركشى، البرهان في علوم القرآن، ٤٥٨/٣.
٦٤. الميزان، ٣٣٩/١. ٦٥. المصدر نفسه، ٢٨٥/٢. ٦٦. المصدر نفسه، ٧٦/٦.
٦٧. المصدر نفسه، ٩١/٧. ٦٨. المصدر، محمد باقر، دروس في علم الاصول، ١٣٠/١.
٦٩. راجع لمزيد من الاطلاع كتاب «منهج العلامة في التفسير» لعلی الأوسى، ٢٠٢ الى ٢٠٨.

٧٠. المصدر نفسه، ١٧٧/٣. ٧١. المصدر نفسه، ١٦٢/٥. ٧٢. المصدر نفسه، ٣٣٩/٧.
٧٣. المصدر نفسه، ٣٤٥/٧.
٧٤. المصدر نفسه، ٣٧٣/٧. ٧٥. المصدر نفسه، ٣٤٦/٧. ٧٦. المصدر نفسه، ٢٠/٥.
٧٧. المصدر نفسه، ٨/٧.
٧٨. راجع لمزيد من الاطلاع على هذه التوضيحات المجلد: ١٠٠/٢، ٩٦، ٢٣٠، ٢٤٣، ٢٥٠، ١٣١، ١٤١ و المجلد ٥٢/٤، ١٣٥، ٣٢٠ و المجلد ١٦٧/٥، ١٧٩، ٢٤٦ من الميزان.

المصادر

١. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، نشر ادب الحوزة.
٢. الاصفهاني، راغب، المفردات، دار الكتب العربي، بيروت.
٣. الاوسي، علي، منهج العلامة طباطبائي في تفسير الميزان، ترجمة سيد حسين مير جليلي، نشر منظمة الأعلام الاسلامي، قم، ١٣٧٠.
٤. البغدادي، عبدالقادر، خزانة الادب، دار صادر، بيروت.
٥. القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط ١٩٥٥، ٢م.
٦. الذهبي، محمد حسين، التفسير و المفسرون، قاهره ١٣٩٦م.
٧. الرافي، صادق، تاريخ الادب العربي، دارالكتاب العربي، بيروت، ط ١٩٧٤م.
٨. الزركشي، بدرالدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق، محمد ابوالفضل ابراهيم، دارالجيل، بيروت، ١٩٨٨م.
٩. السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة و الأدب، دارالفكر، بيروت.
١٠. السيوطي، جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، دار مكتبة الهلال، بيروت.
١١. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، دارالوفاء، بيروت.
١٢. الطبرسي، مجمع البيان، مكتبة العلميّة الاسلاميّة، تهران.